﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَىۡ رَحۡمَتِهِۦٓۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتۡ سَحَابٗا ثِقَالٗا سُقۡنَٰهُ لِبَلَدٖ مَّيِّتٖ فَأَنزَلۡنَا بِهِ ٱلۡمَآءَ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ كَذَٰلِكَ نُخۡرِجُ ٱلۡمَوۡتَىٰ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٥٧﴾ [الأعراف: 57]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

الرِّياح والأمطار مِن مظاهر رحمة الله وإحسانه، ودليلٌ على قُدرته على الإحياء بعد الإماتة

لمّا ذكرَ اللّهُ ﷻ مبدأ الخَلْقِ بقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ﴾، وأعْقبَه بتكليفِ الخَلْقِ بقوله: ﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ﴾، ﴿وَلَا تُفۡسِدُواْ﴾، ناسبَ أن يَذكرَ هاهنا: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرۡسِلُ﴾ مِثالًا على مُنتهَى الخَلْقِ، وقُدْرته على بَعْثِهم وإعادتِهم. وكذلك لمّا بيَّن اللّهُ تعالى أنَّ رحمتَه العامَّةَ قريبٌ مِنَ المُحسنين في عبادتهم وفي سائر أعمالِهم، ذكَّرنا بما نغفلُ عنه كثيرًا مِنَ التَّفكُّرِ والتَّأمُّلِ في أظهر أنواع هذه الرَّحمة، وهو إرسالُ الرِّياح وما فيها مِن منافعِ الخَلْقِ، وإنزالِ المطرِ الذي هو مصدرُ الرِّزقِ، وسببُ حياةِ كلِّ حيٍّ في هذه الأرضِ، وما فيه مِنَ الدَّلالة على قُدرته تعالى على البعث، وما يَسْتَحقُّه عليه مِنَ الحمدِ والشُّكرِ[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿يُرۡسِلُ﴾: مِنَ الجذر (رسل)، ويَدلُّ على الانبعاثِ والامتِداد، فالرَّسْلُ: السَّيْرُ السَّهْل السَّريع، وأرْسَل الشَّيءَ: أطلقه وأهْمَله، والمرسَلات: الرِّياح، والمعنى المحوريّ: تسيُّبٌ مِنَ المَقَرِّ أو الحَيِّز، مع امتدادٍ وتمُّيز[2]، والمراد بإرسال الرِّياح: هُبوبُها مِن مَصدَرها وإيصالُها لمكانِها.

(1) رشيد رضا، تفسير المنار: 8/413.

(2) ابن دُريد، جمهرة اللُّغة، والجوهري، الصّحاح، وابن فارس، مقاييس اللُّغة، وابن منظور، لسان العرب، وجبل، المعجم الاشتقاقيُّ المؤصَّل: (رسل).

2) ﴿ٱلرِّيَحَ﴾: مِنَ الجذر (روح)، ويَدلُّ على سعة وفُسْحة واطِّراد، والمعنى المحوري: هو انبساطٍ أو اتِّساعٍ وانتشار مع شمول ولُطف، والرّيح: نسيمُ الهواء مِن كلِّ شيءٍ، طيِّبًا كان أو غيرَ ذلك، يَنتشِر منه مع لُطفِ جِرمِه، وأصلُ الياء في الرّيح الواو، وإنّما قُلِبت ياءً لكسرة ما قبلَها، وجمْعها: رياح وأرواح، وتصغيرها: روَيْحَة، وراحَ يومُنا يَراحُ ريحًا: إذا اشتدَّت ريحُه، وهو يومٌ راحٌ، وراحَ يومُنا يَراحُ رَوحًا: إذا طابت ريحُه، وريّحَ القومُ وأراحوا: دخلوا في الرّيح، وريّحَ الغديرُ: أصابتْهُ الرّيح، والرّيحَةُ: طائِفَة مِنَ الرّيح[1].

3) ﴿أَقَلَّتْ﴾: مِنَ الجذر (قلل)، وقلَّ الشَّيءَ وأقلَّه واستقلَّه: حمَلَهُ ورفعَهُ، وأقلَّتِ الرّياحُ سحابًا: رفعتَها[2]، واشتِقاقُه مِنَ القِلَّة؛ لأنَّ الرّافِعَ المُطيقَ يَرى ما يَرفعُهُ قليلًا، والمرادُ هنا: حمَلَتِ الرّيحُ السَّحابَ، فكان قليلًا باعتبارِ قوَّتها[3].

4) ﴿سَحَابًا﴾: مِنَ الجذر (سحب)، ويدلُّ على جَرِّ شيءٍ مبسوطٍ ومَدِّه، والمعنى المحوري: جَرٌّ وتحريكٌ لما هو مستقرٌّ أو مماسٌّ لمَقرِّه، وسحبتُ الشَّيءَ أسحبُه سحبًا: إذا جَررتُه، وكلُّ مُنجرٍّ: مُنسَحِبٌ، ومنه اشتقاقُ السَّحابِ؛ لانسحابه في الهواء انسحابًا، والسَّحابةُ: الغيمُ، سواءٌ كان فيه ماءٌ أو لم يكنْ، والجمْعُ: سحابٌ وسُحُبٌ وسحائبُ[4]، وسُمّي السَّحاب سحابًا؛ إمّا لجرِّه الماءَ، أو لجرِّ الرّياح له، أو لانجراره في مَمَرِّه[5].

5) ﴿ثِقَالًا﴾: مِنَ الجذر (ثقل)، ويدلُّ على انجذاب الشَّيء المحمول إلى الأرض أو إلى أسفل، وهو نقيض الخِفَّة، والثِّقَلُ مصدر الثَّقيل، وهو رُجحانُ الثَّقيل، تقول: ثَقُل الشَّيءُ ثِقَلًا وثقالَةً، فهو ثَقيل، والجمع ثِقالٌ وأثقال، وأصلُه في الأجسامِ، ثمَّ يُقال في المعاني، والمرادُ: وصْفُ السَّحابِ بالثِّقَل؛ لامتلائِها ماءً[6].

(1) ابن دريد، جمهرة اللُّغة، والأزهري، تهذيب اللُّغة، وابن فارس، مقاييس اللُّغة، وابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، وابن منظور، لسان العرب: (روح)، وجبل، المعجم الاشتقاقيُّ المؤصَّل: (روح - ريح).

(2) الأزهريُّ، تهذيب اللُّغة، وأبو عُبيد الهرويّ، الغريبين، وابن منظور، لسان العرب: (قلل)، وجبل، المعجم الاشتقاقيُّ المؤصَّل: (قل، قلقل).

(3) الرّاغب، المفردات: (قل)، والنّسفيّ، مدارك التّنزيل: 1/575.

(4) ابن دريد، جمهرة اللُّغة، والأزهري، تهذيب اللُّغة، والجوهري، الصّحاح، وابن فارس، مقاييس اللُّغة، وجبل، المعجم الاشتقاقيُّ المؤصَّل: (سحب).

(5) السّمين الحلبيّ، عمدة الحفّاظ: 2/176.

(6) الجوهريّ، الصّحاح، وابن فارس، مقاييس اللّغة، وابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، وابن منظور، لسان العرب، وجبل، المعجم الاشتقاقيُّ المؤصَّل: (ثقل).

6) ﴿سُقْنَٰهُ﴾: مِنَ الجذر (سوق)، ويدلُّ على الدَّفْعِ إلى الأمام أو إلى أعلى بقوَّة، والمرادُ هنا: دفعْناه وحرَّكْناه تحريكَ مَن يَسوقُ الشَّيءَ لِمَحلِّه ووِجْهته[1].

❁ المعنى الإجْماليُّ:

إحياء الموتى من أعظم مظاهر قدرة الله تعالى

تخاطبُ الآيةُ النّاسَ ببيانِ نِعَمِ اللّه عليهم، فهو مَن يرسلُ الرّياحَ التي تحملُ السُّحبَ الثِّقالَ؛ ليسقيَ الأرضَ المَيْتةَ، فتحيا بالزُّروع والنَّباتات؛ ليأكلوا وترعى أنعامُهم، وبمثلِ هذا التَّدبيرِ في إنزالِ المطرِ وإحياءِ الأرضِ بعدَ موتِها يُحييكُم بعدَ موتِكم، فيخرجُكم مِن قبورِكم أحياءً؛ ليحاسبَكُم على كَسْبكم في هذه الدّار، ويجزيَكُم به الخيرَ بالخير، والشَّرَّ بمثله، جزاءً عادلًا لا ظُلْمَ فيه، وهذا الفعلُ الدّالُّ على القُدْرةِ والرَّحمةِ، ولُطْفِ التَّدبيرِ يُريكُموه، فترونَه بأبصاركم، لعلَّكم به تذكَّرون، أنَّ القادرَ على إحياءِ مَواتِ الأرضِ قادرٌ على إحياءِ مَواتِ الأجسامِ، فتؤمنوا بلقاءِ ربِّكم، وتوقنوا به، فتعملوا بمُقتضَى ما يُسْعِدُكم ولا يُشقيكم فيه[2].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

بيانُ وجهِ عطفِ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ﴾:

قولُه تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ﴾

الانتقالُ مِن مظهرِ غَشَيانِ اللَّيلِ النَّهارَ، إلى غَشَيانِ الماءِ التُّرابَ

معطوفٌ على ما بيَّن به تعالى تدبيرَه لأمرِ العالمِ، في إثْرِ إثباتِه لخلقِ السَّماواتِ والأرضِ، واستوائِه على العَرشِ، في قوله: ﴿يُغْشِى ٱلَّيْلَ﴾، وما بينهما مِن قبيلِ الاعتراضِ المقصودِ بالذّات، مِنَ التَّذكيرِ بهذه الآيات، وهو إخلاصُ العبادةِ له وحدَه، بالفعلِ والتَّركِ، المُعَبَّرِ عنه بالنَّهي عنِ الإفسادِ في الأرض، وهو شاملٌ لجميعِ ما حرَّمه الإسلام[3].

(1) جبل، المعجم الاشتقاقيُّ المؤصَّل: (سوق).
(2) الجزائريُّ، أيسر التَّفاسير: 2/184.
(3) رضا، تفسير المنار: 413 - 414/8.

نُكتةُ استعمالِ الضَّمير في قوله: ﴿وَهُوَ﴾:

الابتداءُ بالضَّمير دون الظَّاهر

الابتداءُ بالضَّمير في قوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ﴾ دونَ الاسم الظّاهر، استغناءٌ بالتَّصريحِ السّابقِ في قوله: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ﴾، وقوله: ﴿تَبَارَكَ ٱللَّهُ﴾، وقوله: ﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ﴾، وقوله: ﴿إِنَّ رَحۡمَتَ ٱللَّهِ﴾، فحَسُنَ استعمالُ الضَّمير ليَخْتَزِلَ فيه هذه العوائدَ بمُتعلَّقاتها جميعًا، وهذا مِنَ التَّعظيم؛ أي: هو اللّه الذي علمتُم صفاتِه المذكورةَ سابقًا، وليُعلمَ أنَّ الفعلَ بعدَ هذا الضَّمير فعلٌ عظيمٌ لا يَقْدِرُ عليه إلّا مَنِ استحقَّ مجموعَ تلك الصِّفات.

فائدةُ مجيءِ المُسْنَد اسمًا موصولًا ﴿ٱلَّذِى﴾:

إفادةُ الاختصاصِ، والتَّعظيمِ، والرِّعايةِ المُطلقةِ

جاءَ المُسنَدُ اسمًا موصولًا في قوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى﴾؛ دلالةً على كون ذلك معهودًا عند السّامع، مفروغًا مِن تحقُّقِ النِّسبةِ فيه والعِلْمِ به[1]، فلم يَقُل: (وهو يُرسل الرّياح)؛ إعظامًا للذّاتِ التي تُسَخِّرُ الرّياحَ وتُرسلُها، فهي ذاتٌ مُتعيِّنةٌ مخصوصَةٌ بالأُلوهيَّةِ والرُّبوبيَّةِ وطَلاقةِ القُدْرةِ، فأتى بالموصول مبالغةً في إظهار الهيمنةِ والعِزَّة الكاملةِ، وأفادَ الإتيانُ بالاسم الموصول الاختصاصَ؛ أي: هو الذي يُرسلُ الرّياحَ بهذه الكيفيَّةِ دونَ سواه.

براعةُ الاستعارةِ في قوله: ﴿يُرۡسِلُ﴾:

التَّعبيرُ بالإرسال يُفيدُ انقيادَ الرِّياحِ التَّامِّ، كانقيادِ العاقلِ المُطيعِ

أطلقَ الإرسالَ على الانتقالِ على وجهِ الاستعارةِ، فإرسالُ الرّياحِ: هبوبُها مِنَ المكانِ الذي تَهُبُّ فيه إلى مَحلِّ وصولها، فشُبِّهَتْ بالعاقلِ المُرسَلِ إلى جهةٍ ما[2]، ومَفادُ التَّشبيه: أنَّ الرّيحَ مُسَخَّرةٌ في صيرورتها مِن جهةٍ إلى جهةٍ، والتَّعبيرُ بالإرسال يُفيدُ انقيادَها التّامَّ، ومطاوعتَها مُطاوعةَ العبدِ الذي يُرسِلُه سَيِّدُه حيثُ يشاءُ، مِن غير عَناءٍ لسيِّده، ومِن غير تَردُّدٍ منه أن يُرسَل.

(1) أبو حيّان، البحر المحيط: 5/76.

(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/178.

توجيهُ القراءاتِ القرآنيَّةِ في قوله: ﴿بُشْرًا﴾:

قرأ عاصم: ﴿بُشْرًا﴾، وقرأ ابن عامر: (نُشُرًا)، وحمزةُ والكسائيُّ وخَلفٌ: (نَشْرًا)، والباقون: (نُشُرًا).

اللهُ أرسلَ الرّياح بينَ يدي الغيثِ، مُتفرّقةً بعدَ طَيٍّ، ومُحيِيَةً للأرضِ، فهي بشارةٌ مِنَ الله تعالى

فمَن قرأ: (نُشُرًا)؛ فهي جمع نُشور، ونُشورٌ بمعنى: ناشر، كَطَهورٍ بمعنى طاهِر، ومعناها: أنَّ الرّياحَ ناشِرةٌ للأرض؛ أي: مُحيِيَةٌ لها؛ إذ تأتي بالمطر الذي يكون به الإنباتُ، أو نُشورٌ بمعنى: منشور؛ أي: أرسلَ اللّهُ الرّياحَ لتأتيَ بينَ يدي رحمتِه، فهي ريحٌ مَنْشورةٌ؛ أي: أنشَرها اللّهُ تعالى، بمعنى: بعثَها وأرسلَها.

ومَن قرأ: (نَشْرًا) فهي خِلافُ الطَّيِّ، كأنَّ الرّيحَ في سُكونها كالمَطْويَّة، فإذا أُرسِلَت تفرَّقَتْ وانتشرَت، وانفتحَت هنا وهناك.

ومَن قرأ: ﴿بُشْرًا﴾ فعلى معنى البِشارةِ، فالرّيحُ تُبشِّرُ بالمطر[1].

بلاغةُ الاستعارة التَّمثيليَّة:

تشبيهُ الغيثِ بالغائب الذي ينتظرُه أهلُه فيقدُمُ أمامَه بشيرٌ يبشِّر به

قولُه: ﴿بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ﴾؛ أي: بين يدي المطرِ، وهو مِن أحسن أنواع المجاز، ذلك أنَّ العربَ تستعملُ اليدين في معنى التَّقدِمَةِ على سبيل المجاز، فكلُّ ما كان يتقدَّمُ شيئًا أُطلِق عليه لفظُ اليدين، على سبيل المجاز لأجل هذه المشابهة، فلمّا كانتِ الرّياحُ تتقدَّمُ المطرَ عَبَّر عنه بهذا اللَّفظ[2].

والاستعارةُ تخييليَّةٌ: حيث شبَّه المطرَ بالإنسانِ الغائبِ الذي ينتظرُه أهلُه فيقدُمُ، ومِن أمامِه بشيرٌ يبشِّرُ بقدومه، واستُعيرتِ اليدانِ للرَّحمة تمثيلًا بالإنسان، فإنَّه وإن كان الشَّيءُ أمامَه أو في حِجْره فهو بين يديه؛ لأنَّ يدي الإنسان يتقدَّمانِه عند المناولة، وعند المشي استعانةً.

(1) الدِّمياطيُّ، إتحاف فضلاء البشر، ص: 284، وابن الجزريِّ، النَّشر في القراءات العشر: 2/202.
(2) الفخر الرّازيّ، مفاتيح الغيب: 14/289.

نُكْتَةُ إسنادِ اليدين إلى الرَّحمة:

الماءُ النَّازلُ مِنَ السَّماءِ ليس على طريقةٍ واحدةٍ في الإفادةِ

وفي إسناد اليدين إلى الرَّحمة نُكْتَةٌ لطيفةٌ، حيث عبَّر فيه باليدين، وهما يُطلَقان على اليد اليمنى واليد اليُسرى؛ لدلالته - مع ما فيه مِنَ الفخامة - على أنَّ المطرَ تارةً يكونُ رحمةً، وتارةً يكونُ عذابًا، كما كانَ على قوم نوح ﷺ: ﴿فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾﴾ [القمر: 11]، أو تارةً يكونُ نافعًا، وتارةً يكونُ ضارًّا، وتارةً يكونُ مُقوِّمًا للزُّروع والأشجار، وتارةً يكونُ مُهْلِكًا لها، وإن كانتِ الرَّحمةُ فيه أغلب، وهي ذاتُ اليمين[1].

دلالةُ الإضافةِ في قوله تعالى: ﴿رَحْمَتِهِۦ﴾:

أفادَ التَّعريفُ بالإضافةِ العهدَ؛ إنْ أُريد بالرَّحمة المطرُ، ويفيدُ الجنسَ إنْ أُريدَ بالرَّحمة العُمومُ، باعتبار أنَّ المطرَ واحدٌ، مِن جُملةِ منافعَ تأتي بها الرّياحُ.

سرُّ إضافةِ الرَّحمةِ إلى ضمير الذَّات العليَّة:

الإغراءُ بالْتِماسِ الرَّحمةِ العامَّةِ والخاصَّةِ مِنَ الله وحدَه

فقال: ﴿رَحْمَتِهِۦ﴾ فأُضيفتِ الرَّحمةُ إلى الضَّميرِ العائدِ على الله تعالى؛ لإفادةِ اختصاصِ تلك الرَّحمة بالله وحدَه، وهي في حقِّه تعالى تنفي اشتراكَ غيرِه معَه فيها بالكلِّيَّة؛ أي: رحمةً منه، وله وحدَه لا لغيره، وفيه إغراءٌ على الْتِماسِ الرَّحمةِ العامَّةِ والخاصَّةِ، والتَّوسُّلِ إلى الله بها.

سرُّ تسميةِ المطرِ رحمةً:

غلبَ على المطر الرَّحمةُ للعبادِ، فسُمِّيَ باعتبار أثره

سُمّيَ المطرُ رحمةً بحسب أثره وما يَؤول إليه؛ أي: هو سببُ الرَّحمة، وسُمّي رحمةً لما يترتَّب عليه - في العادة - مِنَ المنافع، وتسميةُ المطر بالرَّحمة مجازٌ؛ لكونه استعمالَ اللَّفظ في غير ما وُضِعَ له، إذ لفظُ الرَّحمة لم يوضَع للمطر بخصوصه، وإن كان إطلاقُها عليه باعتبارِ عمومِه وكونِه فردًا مِن أفراد ذلك العامِّ، فهو

(1) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 7/421.

بذلك حقيقةٌ؛ لأنَّه استعمالُ اللَّفظِ فيما وُضِعَ له، والمقامُ ظاهرٌ في إرادة هذا المعنى[1].

معنى ﴿حَتَّىٰٓ﴾ في قوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتۡ﴾:

نوع ﴿حَتَّىٰٓ﴾ في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتۡ سَحَابٗا ثِقَالٗا﴾ ابتدائيَّةٌ، وهي غايةٌ للإرسال، فإنزالُ الماءِ هو غايةُ تقدُّم الرّياحِ وسَبْقِها المطرَ، وكانتِ الغايةُ مُجزَّأةً أجزاءً، فأوَّلُها: مضمونُ قولِه: ﴿أَقَلَّتۡ سَحَابٗا﴾؛ أي: حَمْلُ الرّياحِ للسَّحاب، ثمَّ مضمونُ قولِه: ﴿ثِقَالٗا﴾، ثمَّ مضمونُ: ﴿سُقۡنَٰهُ﴾؛ أي: إلى البلد الذي أرادَ اللَّهُ غيثَه، إلى أن ينزلَ منه الماءُ. وكلُّ ذلك غايةٌ لتقدُّم الرّياحِ؛ لأنَّ المُفرَّعَ عنِ الغايةِ هو غايةٌ[2].

غـايـةُ إرسـالِ الـرِّيـاحِ إقلالُها لـلـسَّـحـاب، فَسَوقُها، فإنزالُ الماءِ

بلاغةُ استعمالِ جمعِ التَّكسير في قوله: ﴿ثِقَالٗا﴾:

قولُه تعالى: ﴿ثِقَالٗا﴾ على وزن: (فِعال)، وهو صفةٌ للسَّحاب، و(فِعال) وزنٌ يُفيدُ الكثرةَ، وهو من جُموعِ التَّكسيرِ للصِّفات، لا (فِعال) التي هي مِن أوزانِ المصادرِ، كنِكاح وقِتال، فهو جمعُ (ثَقيل)، على وزن: (فَعيل) الدّالِّ على الطَّبائع والسَّجايا والغرائز[3]، و﴿ثِقَالٗا﴾ يدلُّ على جانب الثِّقَل المادّيِّ في الشَّيء، ولذا وُصِفَتْ به السَّحاب؛ لأنَّ ثِقَلَها بالماءِ حقيقيٌّ، وهو ثِقَلُ الأجرام، فالثِّقَلُ أصيلٌ فيها، ولم توصَفْ بجمعِ: (فُعَلاء)؛ لأنَّه مُستعمَلٌ في جانب الثِّقَل المعنويِّ؛ كَثِقَل الطِّباع والنُّفوس؛ فما أجْملَ وصفَ الرِّجالِ بقولنا: رِجالٌ ثِقالٌ! وما أقبحَ وصفَهم بقولِنا: رجالٌ ثُقلاء!.

الثِّقَلُ للسَّحاب وَصْـفٌ مـلازمٌ لها، كالسَّجيَّة، فهي صِفةُ مدح

براعةُ اختيار نوع الجمع في ﴿ثِقَالٗا﴾:

لم يوصَفِ السَّحابُ بالجَمْعِ السّالمِ (ثقيلاتٌ)؛ لثلاثةِ أسباب:

الأوَّل: أنَّ الجمعَ السّالمَ يدلُّ على الحَدَثِ، فهو أقربُ إلى الفعل،

التَّـنـبـيـهُ على الاسـمـيَّـة والـسَّـجـيَّـة لـلـسَّـحـاب، مـع المـنـاسـبـة الـسِّـيـاقـيَّـة والصَّوتيَّة

(1) الآلوسيُّ، روح المعاني: 4/384.
(2) الآلوسيُّ، روح المعاني: 4/385، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/181.
(3) فاضل السّامرائيُّ، معاني الأبنية العربيَّة، ص: 144.

وأمّا جمعُ التَّكسيرِ في ﴿ثِقَالًا﴾ فهو إلى الاسميَّة أقربُ، ويدلُّ على استحضار معناها في الوصف، وهنا أُريدَ في الآية بجمعِ التَّكسيرِ التَّنبيهُ على الاسميَّة، لا إرادةِ الحَدَث، ولو قيل: (ثقيلات) لفُهِم الحَدَثُ، وإرادةُ الاسميَّة أنسبُ بالسَّحاب؛ لأنَّ السَّحابَ أجسامٌ مائيَّةٌ، مُكوِّنُها الرَّئيسيُّ الماءُ، وهي أيضًا تحملُ الماءَ، فكأنَّه أرادَ بهذا الوصفِ على تلك الصّيغةِ أن يقولَ: إنَّ الثِّقَل للسَّحابِ وصْفٌ مُلازمٌ لها، كالسَّجيَّة والطَّبع، فقولُه: ﴿ثِقَالًا﴾ جارٍ في السَّحاب مَجرَى الطَّبائع في الأجسام، ولو قال: (ثقيلات) لفُهِم أنَّ الوصفَ بالثِّقَل يتواردُ عليها قُبيلَ نزولِ المطرِ فقط، أو في هذا المشهدِ المذكورِ فقط، وقد يزولُ عنها، يَعود إليها أو لا يعود، ولذا قَرَنَ اللّٰهُ ثِقَلَ السَّحابِ بنشأتها وتكوينِها، فقال: ﴿وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ ﴿١٢﴾﴾ [الرّعد: 12].

السَّببُ الثّاني: لو قال: (سحابًا ثقيلات)؛ لكان ذلك نصًّا على تأنيثِ لفظِ السَّحاب، فلا يستقيمُ أن يقولَ بعدَها: ﴿سُقْنَٰهُ﴾ على التَّذكير، والسَّحابُ مُستعمَلٌ في التَّذكير والتَّأنيث - كما سيأتي - فجاء بوصْفٍ أنسبَ في تلاؤم النَّظم، فإنَّ ﴿ثِقَالًا﴾ لا يمتنع معه الدَّلالة على التَّذكير، كدلالة: ﴿سُقْنَٰهُ﴾ - بعده - عليه؛ لأنَّ ﴿ثِقَالًا﴾ جمعٌ لِثَقيل؛ كَضِعافًا لِضَعيف، وشِدادًا لِشَديد، ويَصِحُّ كذلك أن يكونَ جمعًا لـ (ثقيلة) المؤنّث، فأتى بجمعٍ يتآلفُ مع ألفاظِ السّياقِ وضمائرِه، فثَبَتَ بذلك أنَّ الألفاظَ في هذا الموضع مطابقةٌ لمعانيها.

السَّببُ الثّالث: سلاسةُ الإيقاعِ الصَّوتيِّ في التَّركيب مع ﴿ثِقَالًا﴾، بخلاف ما لو قيل: (أقلَّتْ سِحابًا ثقيلاتٍ سُقناه لبلدٍ)، لكان ثمَّةَ نُفْرَةٌ في الإيقاعِ، وتَعثُّرٌ في التَّركيبِ العامِّ.

استحضارُ حالةِ العَـزْمِ والـقُـوَّةِ التي تُساق بها السَّحابُ

غرضُ التَّذكيرِ في قوله تعالى: ﴿سُقْنَٰهُ﴾:

آثرَ النَّظمُ التَّذكيرَ في قوله: ﴿سُقْنَٰهُ﴾، فلم يقُل: (سقناها) بالتَّأنيث؛ لأنَّ "السَّحابَ اسمُ جنسٍ جَمْعيٍّ، يُفرَّقُ بينَه وبينَ واحِدِه

بالتّاء؛ كَتَمْر وتَمْرَة، وهو يُذكَّر ويُؤَنَّث، ويُفْرَدُ وصْفُه ويُجْمَعُ، وأهلُ اللُّغة تُسَمّيه جمعًا؛ فلذا روعيَ فيه الوجهان في وصْفه وضميره"[1]، والعِلَّةُ في كَوْن فعلِ السَّوق جاء على صيغة المُذَكَّر؛ لاستحضار حالة العَزْم والقوَّة التي تُساق بها السَّحاب؛ لأنَّها تُساقُ حالَ امتلائِها ماءً، ولذا فِعْلُ السَّوقِ جاء بعد وصْفِها: ﴿ثِقَالًا﴾، فهيَ ثقيلةٌ تحتاج إلى قوَّةٍ وشِدَّةٍ، فأُضيفَ الفعلُ لضمير المُذَكَّر؛ ليناسبَ اللَّفظُ المعنى، ويُؤيدُ ذلك إسنادُه لنونِ العَظَمةِ؛ أي: بعظمتنا وقُدرتنا البالغة ﴿سُقْنَٰهُ﴾.

نُكْتَةُ الالتفاتِ في قوله تعالى: ﴿سُقْنَٰهُ﴾:

بيانُ الامتنانِ بعظيم المِنَن

جاءَ الكلامُ على الالتفاتِ مِنَ الغَيْبةِ في قوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى﴾، إلى التَّكَلُّم في قوله: ﴿سُقْنَٰهُ﴾؛ تأكيدًا للامتنان، وإظهارًا له، فإنَّ سَوْقَه للمكان المُقَدَّر نِعْمَةٌ عظيمةٌ.

بلاغة الاستعارةِ التَّمثيليَّة في قوله: ﴿سُقْنَٰهُ﴾:

تشبيهُ سَوْقِ الرِّياحِ بِسَوقِ الأنعامِ

حقيقةُ السَّوْق أنّه تسييرُ ما يمشي، ومُسَيِّرُهُ وراءَه يُزْجيه ويَحثُّه، وهو هنا مُسْتَعار لتسيير السَّحاب بأسبابه التي جعلها اللهُ، وقد يُجعَل تمثيلًا، إذا روعيَ قولُه: ﴿أَقَلَّتْ سَحَابًا﴾؛ أي: سُقناهُ بتلك الرّيح إلى بلد، فيكونُ تمثيلًا لحالةِ دَفْعِ الرّيحِ السَّحابَ، بحالةِ سَوْقِ السّائقِ الدّابَّةَ[2].

فائدةُ اللّام في قوله: ﴿سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ﴾:

الاختِراز أن يكونَ الذي وصَلَ له الماءُ غيرَ الذي عُلِّلَ بهِ السَّوْقُ

معنى اللّام في قوله تعالى: ﴿سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ﴾ العِلَّة؛ أي: لأجل بَلَد؛ لمنفعتها أو إحيائها أو لِسَقْيها، وتعدّيها باللّام لمعنى الاختصاص بقِسْمَة اللهِ العادِلَة؛ أي: سُقْناه إلى هذا البلد ليكونَ مُختَصًّا بها، حتَّى يُحْيِيَ مَواتَها، فإذا ماتَت أرضٌ أُخرى اختصصناها بما يُحْييها مِن غير تثريب[3]، فاللّامُ دالَّةٌ على وصولِ العنايةِ الرَّبّانيَّةِ لتلكَ

(1) الشِّهاب، حاشية الشِّهاب: 4/175.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/182.
(3) أبو زهرة، زهرة التَّفاسير: 6/2873.

البلدِ[1]، وتُسَمَّى هذه اللّامُ لامَ التَّبليغِ، وهي تُفيدُ أكثرَ مِن مُجَرَّد العِلَّة، وتعني: وصولَ الشَّيءِ وتسليمَهُ حتَّى يبلغَ صاحبَه، كما تقولُ: سُقتُ لكَ مالًا، وسُقتُ لأجلكَ مالًا، فالأوَّل: معناه أوصلتُ لكَ ذلكَ وأبلغْتُكَهُ، والثّاني: لا يَلزَمُ منه وصولُهُ إليه، وفائدةُ تلك اللّام هنا: الاحترازُ مِن أن يكونَ الذي وصلَ له الماءُ غيرَ الذي عُلِّلَ به السَّوْقُ، كما يُقال: لأجْلِ زيدٍ سُقْتُ لك مالَك، فالعِلَّةُ منفكَّةٌ عنِ الغاية، ومعنى اللّام يمنع هذا الانفكاك[2].

بلاغةُ المجازِ في الاستعمالِ، والإسنادُ في وَصْفِ البلدِ بمِيّت:

تشبيهُ البلد بالمَيِّت استحضارٌ لليأس، توطئةً لذِكْرِ الإحياء

وَصَفَ البلدَ بالموت تجوُّزًا في الاستعمالِ على سبيلِ الاستعارةِ؛ لجَدْبِه وجُفوفِ نباتِه وثَمَرِه، كأنَّما شُبِّه بجسدٍ مَيِّتٍ لا روحَ فيه، بجامع الخُلوِّ وعدمِ الانتفاع في كُلٍّ[3]، فهي استعارةٌ مَكْنِيَّةٌ تخييليَّةٌ، وإسنادُ الموتِ إلى البلد إسنادٌ إلى غيرِ الفاعلِ، فهو مجازٌ عقليٌّ؛ لأنَّ المَيْتَ هو النَّباتُ والزَّرعُ[4]، والقصدُ مِن ذلك كلِّه، استحضارُ اليأسِ في لفظِ الموتِ، ثمَّ الإحياءُ بالأسبابِ التي اقتضتْها مَشيئةُ اللّهِ تعالى.

دلالةُ تتابعِ الفاءِ في قوله: ﴿فَأَنزَلْنَا﴾، و﴿فَأَخْرَجْنَا﴾:

فوريَّةُ التَّفاعلِ والتَّلاقُحِ والمُطَاوَعةِ في التَّأثُّر بينَ المطرِ والنَّباتِ

الفاء للتَّعقيب، وهو في كلِّ مَوضعٍ بحسبه في العادة الغالبة له، قال تعالى: ﴿فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾، وغَرَضُه: الدَّلالةُ على قوَّةِ استجابةِ المُسَبِّبات لأسبابها؛ أي: ما يَنْتَظرُ خروجُ النَّباتِ إلّا نزولَ المطرِ، والتَّعقيبُ الذي أفادته الفاءُ بينَ النُّزول والإخراج ليس تعقيبَ الفوريَّةِ الزَّمنيَّةِ، بل التَّعقيبُ في فوريَّة التَّفاعلِ والتَّلاقُحِ والمطاوعَةِ في التَّأثُّر بينَهما.

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/183.
(2) أبو حيّان، البحر المحيط: 5/78.
(3) أبو حيّان، البحر المحيط: 5/78.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/183.

تنوُّعُ مَرجعِ الضَّمير في: ﴿فَأَنزَلۡنَا بِهِۦ﴾:

الضَّمير في قوله تعالى: ﴿فَأَنزَلۡنَا بِهِ ٱلۡمَآءَ﴾ يعود على البَلَد، فالباءُ للظَّرفيَّة تجوُّزًا؛ لأنَّ الإنزالَ ليس في البلد، بلِ المُنَزَّلُ، فيكونُ تخريجُها على الإلصاقِ أولى وأحسنَ[1]، أو على السَّحاب، فتكونُ للسَّببيِّة[2]، أو الباء للآلَة[3]، والضَّمير في ﴿بِهِۦ﴾ يعود على البلد، أو على الرّياح، أو السَّحاب، أو فِعْلِ السَّوقِ المفهوم مِن قوله: ﴿فَسُقۡنَٰهُ﴾؛ أي: أنزلنا بهذا السَّوْق، وجميعُ المعاني محتمَلةٌ، وهو دليلُ اتِّساعِ رحمةِ اللهِ بعبادِه.

كَـثْرةُ المعـاني المُحْتمَلةِ دليلُ اتِّساعِ رحمةِ اللهِ بكثرةِ أسبابِها

تَنوُّعُ مَرجعِ الضَّمير في ﴿فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ﴾:

معنى قوله: ﴿فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ﴾؛ أي: بسببه، يعني: ماءَ المطر، فالباء للسَّببيَّة، وهذه هي السَّببيَّةُ القريبة في السّياق، وهو الأحسنُ في عَوْدِ الضَّمير؛ لقُرْبه لفظًا ومعنًى، وأمّا الْتِماسُ السَّببيَّةِ البعيدة في السَّحاب أو الرّياح أو فِعْلِ السَّوْق فبعيدٌ لفظًا ومعنًى؛ إذ آخِرُ ما تراهُ الأعينُ قبلَ خروجِ النَّباتِ مُلابسةُ الماءِ له، والشَّيءُ يُرَدُّ إلى مُلابِسه، والرّيحُ والسَّحابُ ليسا في محلِّ الملابسةِ بموضِعِ الإنبات، ويُحتمَلُ: ﴿فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ﴾؛ أي: بالبلد، باعتبار أنَّه محلُّ إخراجِ النَّباتِ، فالباء للظَّرفيَّة، والضّابطُ في ذلك: "أنَّ مطابقةَ النَّظائرِ، وانفكاكَ الضَّمائرِ، لا بأسَ به، إذا قامَ الدَّليلُ عليه، وحُسْنُ الملاءَمَة"[4].

الأحسنُ في عَوْدِ الضَّميرِ أن يكونَ إلى الأقربِ لفظًا ومعنًى

معنى حرفِ الجرِّ في قوله: ﴿مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ﴾:

تعدَّدَت أوجهُ معنى حرف ﴿مِن﴾ في قوله تعالى: ﴿مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ﴾، فقيل: إنَّها لبيانِ الجنسِ، وتفيدُ الاستغراقَ بالنِّسبة إلى مجموعِ الأرضِ كلِّها، لا باعتبار أنَّ قطعةً منها تُخرجُ كلَّ الثَّمرات،

إفـــادةُ الاستـغـراق، وهـــذا دلـيـلُ شـمـولِ رحـمةِ اللهِ بعبادِه

(1) الآلوسيُّ، روح المعاني: 4/385.
(2) طنطاويّ، الوسيط: 5/292.
(3) رضا، تفسير المنار: 8/416.
(4) الآلوسيُّ، روح المعاني: 4/385.

وبهذا الاعتبار يكونُ الاستغراقُ حقيقيًّا. وقيل: إنَّها للابتداء، و﴿كُلِّ﴾ لعمومِ الأفرادِ النَّوعيَّةِ، لا الأفرادِ الشَّخصيَّة؛ أي: مِن كلِّ أنواعها، على أنَّ الاستغراقَ غيرُ مُرادٍ ولا واقعٍ؛ ليكونَ أبلغَ في إظهارِ القُدْرةِ، ويُرادُ بها مُطلقُ التَّكثير[1]، ويجوزُ إرادةُ الاستغراقِ العُرفيِّ لا الحقيقيِّ؛ أي: مِن كلّ الثَّمَرات المعروفة في ذلك البلد[2].

مَوقِعُ جملةِ الاعتراضِ: ﴿كَذَٰلِكَ نُخۡرِجُ ٱلۡمَوۡتَىٰ﴾ ممَّا قبلَها:

قولُه تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ نُخۡرِجُ ٱلۡمَوۡتَىٰ﴾ اعتراضٌ بينَ التَّذكرةِ بإرسال الرّياحِ، والتَّذييلُ برجاء التَّذكُّر: ﴿لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾، وغَرَضُ جملةِ الاعتراضِ: الاستدلالُ على ثبوت البعث الذي ينفيه المشركون، فأتى بالتَّشبيه والإشارة في قوله: ﴿كَذَٰلِكَ﴾، مقصودًا بهما "الإخراجُ المُتضمِّنُ له فِعلُ: ﴿فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ﴾ باعتبار ما قبلَه، مِن كون البلد ميِّتًا، ثمَّ إحيائه؛ أي: إحياءِ ما فيه مِن أثر الزَّرعِ والثَّمرِ، فوَجْهُ الشَّبهِ: هو إحياءٌ بعدَ موتٍ"[3].

اللهُ يَذْكُرُ لعبادِه عظيمَ رحمتِه عندَ الرَّخاء؛ ليذكروه عند الشَّدائد

بلاغةُ التَّشبيه في قوله: ﴿كَذَٰلِكَ نُخۡرِجُ ٱلۡمَوۡتَىٰ﴾:

التَّشبيهُ في مُطلَق الإخراج مِنَ العدم[4] بجامعِ اتِّحاد نوعَيْهما، فكلٌّ مِنَ المُشَبَّه والمُشَبَّه به: إخراجُ الموتى وإخراجُ النَّبات، حاصلان مِن عدم، فهذا وجهُ الشَّبَه، أو وجْهُ الشَّبه: إحياءٌ بعد موتٍ، وفي تقرير هذا القياس نَعْيٌ على عقل مَن يُنكرُ البعثَ؛ لأنَّه إذا كان لا يَتردَّد في أنَّ النَّباتَ قد خَرجَ بالمطر بعدَ جفافِه وجَدْبِه، ويرى ذلك ويُسَلِّم له، فكيف يرتابُ فيما هو على غِراره مِن إخراجِ الموتى، بل أيسرُ منه في القُدْرة؛ إذِ النَّباتُ ليس له وجودٌ قبلَ إخراجه، وإخراجُ الموتى إعادةٌ للوجودِ، وليس إنشاءً له، فأنَّى يُبصرون، والتَّشبيهُ مُرسَلٌ، ذُكِرَت فيه أداةُ التَّشبيه.

عَقْلُ مَن يُنكِر البعثَ ميِّتٌ، يحتاجُ إلى إنزالِ القرآنِ؛ ليَحْيَا قلبُ صاحبِه

(1) الآلوسيُّ، روح المعاني: 4/385.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/183.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/183.
(4) طنطاويّ، الوسيط: 5/292.

بلاغةُ الفاصلةِ القرآنية:

غايةُ المشاهدات المحسوسة التَّذَكُّرُ والاعتبارُ

قولُه تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ تذييلٌ يُقَرِّرُ نعمةَ المطرِ، والحِجاجَ على البَعْثِ، والتَّحضيضَ على التَّذكُّر الجماعيِّ، والتَّنبيهَ على اعتبار العادات والسُّنَن التي أجراها اللهُ في المقدِّمات والنَّتائج، كما رتَّب إخراجَ النَّباتِ على وجود المطر، وخاتمة: ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ في مَوقِع التَّرجيَة بالتَّذكُّر والاعتبار، أو تعليلٌ لمحذوف؛ أي: قلْنا ذلك أو أنزلْنا تلك الآيةَ ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾، فتؤمنوا بالإحياء، وخروجِ الموتى.

بلاغةُ الاستعارةِ التَّبعيَّةِ في (لَعَلّ):

تشبيهُ أمرِه تعالى برجاءِ غيرِه؛ لبيان قُوَّةِ الطَّلبِ معَ عدمِ الإرغام عليه

أداةُ (لعلَّ) في قوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾، واقعةٌ موقعَ المجاز لا الحقيقةِ؛ لأنَّ المعنى الوضعيَّ لكلمة (لعَلَّ) هو إنشاءُ تَوقُّعِ أمْرٍ مُتَردِّدٍ بينَ الوقوع وعدمه، مع رُجحان الأوَّل، إمّا محبوبٌ؛ فيُسَمَّى ترجّيًا، وإمّا مكروه؛ فيُسَمَّى إشفاقًا، ويَمْتَنِعُ إرادةُ هذا المعنى هاهنا؛ لامتناع التَّوقُّعِ واستحالته في حَقِّ اللهِ العليم، فيكونُ المعنى جاريًا على سبيل الاستعارةِ، بتشبيه أمْره تعالى لخَلْقه بالتَّذكُّر، برجاء الرّاجي مِنَ المرجوِّ منه أمْرًا؛ في كون مُتعلَّق كلٍّ منهما مُتَرَدِّدًا بينَ الوقوع وعدمِه؛ مع رُجحان الأوَّل؛ فيُستعار له لفظ (لعلَّ) استعارةً تبعيَّةً حرفيَّةً؛ للمبالغة في الدَّلالة على قوَّة الطَّلب؛ وقُرْب المطلوبِ مِنَ الوقوع[1].

توجيهُ القراءات القرآنيَّة في قوله: ﴿تَذَكَّرُونَ﴾:

قراءةُ التَّخفيفِ أفادَتِ الذِّكرَ بعدَ نسيانٍ، والتَّشديدِ الذِّكرَ بعدَ الذِّكرِ

قُرِئَ قولُه تعالى: ﴿تَذَكَّرُونَ﴾ بتخفيف الذّال، وبتشديدها[2]، فمعنى قراءةِ التَّخفيفِ: الذِّكْرُ عن نسيانٍ، ومعنى قراءةِ التَّشديد:

(1) الزَّمخشريُّ، الكشّاف: 1/92، والآلوسي، روح المعاني: 1/188، وأبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 1/59.

(2) ابن الجزريّ، النَّشر في القراءات العشر: 2/200.

هي ذِكرٌ لا نسيانَ فيه؛ لأنَّ بناءَ (تَفَعَّل) فيه تضعيفٌ زائدٌ، يُفيد التَّدرُّجَ؛ أي: حصولَ شَيءٍ بعدَ شَيءٍ، كأنَّه تَذَكُّرٌ بعدَ تَذَكُّرٍ؛ ليتفهَّمَ مَن خوطِبَ بذلك؛ لأنَّ زيادةَ المبنَى تدلُّ على زيادة المعنى وتُؤكِّدُه، وخلاصةُ القول: إفادةُ التَّدرُّجِ في التَّذَكُّر، حتَّى يَحصُلَ الرُّسوخُ؛ لاجتماعِ وتراكمِ التَّذَكُّر على التَّذَكُّر[1].

توجيهُ المتشابهِ اللَّفظيِّ:

جاءَت ثلاثُ آياتٍ متشابهاتٍ مع قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَىۡ رَحۡمَتِهِۦٓۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتۡ سَحَابًا ثِقَالٗا سُقۡنَٰهُ لِبَلَدٖ مَّيِّتٖ فَأَنزَلۡنَا بِهِ ٱلۡمَآءَ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ كَذَٰلِكَ نُخۡرِجُ ٱلۡمَوۡتَىٰ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾، وهي قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَىۡ رَحۡمَتِهِۦۖ وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ طَهُورٗا ۝٤٨﴾ [الفرقان: 48]، وقولُه تعالى: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرۡسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٖ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحۡمَتِهِۦ وَلِتَجۡرِىَ ٱلۡفُلۡكُ بِأَمۡرِهِۦ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ۝٤٦﴾ [الرّوم: 46]، وقولُه تعالى: ﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابٗا فَسُقۡنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٖ مَّيِّتٖ فَأَحۡيَيۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ۝٩﴾ [فاطر: 9].

والتَّشابهُ في الآيات في المَواضِع الآتية:

المَوضِع الأوَّل: ﴿يُرۡسِلُ﴾ و﴿أَرۡسَلَ﴾، ففي (الأعراف) صيغة المضارع ﴿يُرۡسِلُ﴾؛ للتَّناسبِ اللَّفظيِّ مع ما تقدَّمها مِن أفعالِ المُضارَعةِ والاستقبالِ في قوله تعالى: ﴿يُغۡشِى ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَ﴾، ﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ﴾، والدُّعاءُ مُرادٌ به ما سيأتي، ﴿وَلَا تُفۡسِدُواْ﴾، وكذا في آية سورة الرّوم لمناسبة ما تقدَّم بصيغةِ المضارعِ في قوله: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرۡسِلَ ٱلرِّيَاحَ﴾ [الرّوم: 46]، وللمناسبةِ المعنويَّةِ في قوله قبلَه: ﴿وَٱدۡعُوهُ خَوۡفٗا وَطَمَعًاۚ إِنَّ رَحۡمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ۝٥٦﴾ [الأعراف: 56]، "فتعليقُ الخوفِ والطَّمعِ بما يكون منه سبحانه مِنَ الرَّحمة وصنوفِ ما رزقَ اللهُ به الخَلْقَ مِنَ النِّعم، فكان لفظُ المستقبلِ في: ﴿يُرۡسِلُ﴾ أشبهَ بمَوضِع الخوفِ والطَّمعِ للدّاعين، وأدْعَى لهم إلى الدُّعاء"[2].

وآيةُ سورة الفرقان جاءَت بصيغة الماضي؛ لتقدُّمِ الأفعالِ الماضية: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيۡفَ مَدَّ ٱلظِّلَّۖ وَلَوۡ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنٗا ثُمَّ جَعَلۡنَا ٱلشَّمۡسَ عَلَيۡهِ دَلِيلٗا ۝٤٥ ثُمَّ قَبَضۡنَٰهُ إِلَيۡنَا

(1) فاضل السّامرائيُّ، بلاغة الكلمة، ص: 41.
(2) الإسكافيُّ، درَّة التَّنزيل وغرَّة التَّأويل: 2/590.

قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا ﴿٤٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ﴾ [الفرقان: 45 - 48].

وآيةُ سورة فاطر تقدَّم عليها ما يُفيد الماضي، فسيقَت بصيغة الماضي، وهو قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ﴾ [فاطر: 3]، وهو تذكيرٌ لهم بشُكْرِ النِّعم الماضية، فاستَعْمَل الماضي كذلك بعدَه في تلك النِّعمة، فقال: ﴿أَرْسَلَ﴾.

الموضِع الثّاني: القيدُ بـ ﴿بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ﴾ في سورتي الأعراف والفرقان، دونَ سائرِ المواضِع. جاءَ هذا القيدُ في هاتين السورتين؛ لأنَّه سبقه في كليهما ما يدلُّ على الاسترحام، والاستعطافِ، والتَّرجّي، والامتنانِ، ففي سورة الأعراف ذكرَ الرُّبوبيَّة وما يستلزِمُها مِنَ الآلاء في قوله: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾، وقولِه: ﴿تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، وقولِه: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ﴾ في الموضِعين، وختم بقوله: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾، فناسبَ أن يُبشِّرَ بالرَّحمة بعدَ ذلك.

وفي سورة الفرقان سُبقَ السّياقُ بالامتنان وتعديدِ النِّعم، المُؤْذِن بوصول الرَّحمة، فقال: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾﴾ [الفرقان: 45]، ثمَّ قال: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا ﴿٤٧﴾﴾ [الفرقان: 47]، ولم يَرِدْ في سورة الرّوم، ولا في سورة فاطر، مثلُ ذلك ولا بعضُه، فلم يُتْبَعْ ذِكْرَ إرسالِ الرّياحِ بما أُتْبِعَ في آيتي سورة الأعراف وسورة الفرقان[1].

الموضِعُ الثّالثُ: ذكرَ السَّحاب في سورتي الأعراف وفاطر دون الموضِعين الآخَرَيْن.

لمّا قال في سورة الأعراف: ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾، و﴿كُلِّ﴾ أفادتِ العمومَ والاستغراقَ؛ ناسبَ أن يَذْكُرَ السَّحابَ الثِّقالَ المليئةَ بالماءِ الكثيرِ؛ لتُلائمَ هذه الكَثْرةُ سَقْيَ كلِّ الثَّمراتِ.

وفي سورة فاطر ذَكَرَ على جهة التَّعميم قولَه: ﴿فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ﴾ [فاطر: 9]، فناسبَ أن يكتفيَ بذِكْرِ إثارةِ الرّياحِ، مِن غير التَّفصيلِ الواردِ في سورة الأعراف؛ لعدمِ ما يقتضيه.

(1) الغرناطيُّ، مَلاك التَّأويل: 1/185.

وأمّا سورة الرّوم فليس فيها عمومٌ، بل فيها خصوصٌ حاصلٌ مِنَ التَّقييد بقوله: ﴿فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ﴾ [الروم: 48]، والاكتفاءُ فيها بذِكْرِ إثارةِ الرّياحِ السَّحابَ أبينُ شيءٍ، فجاءَ كلٌّ على ما يناسبه.

ولم يَرِدْ في سورةِ الفرقانِ ذِكْرُ إثارةِ الرّياحِ السَّحابَ اكتفاءً ببشارةِ قوله: ﴿بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ﴾ [الفرقان: 48][1]؛ لأنَّه قَصَد هنا ذِكْرَ بادِئِ الإنعامِ، لا منتهاه، بذِكْرِ غايةِ المطرِ.

الموضِعُ الرّابعُ: ذَكَرَ البلدَ المَيِّتَ في المواضِعِ عدا آية سورة الرّوم.

لم يَذْكُر في سورة الرّوم سَوقَ الرّياح للبلدِ الميِّتِ؛ لحصول ذلك في قوله بعدَه: ﴿فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ﴾ [الرّوم: 50]، فلو قيل أوَّلًا: ﴿فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ﴾ لكان تكرارًا[2].

الموضِعُ الخامسُ: دخولُ الفاءِ في قوله: ﴿فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ﴾، وتجريدُها من قوله: ﴿سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ﴾.

في سورة الأعراف جاءَ الفعلُ مُجرَّدًا مِنَ الفاء؛ لأنَّه لا مَدْخَلَ هاهنا للفاء التي تربط الجوابَ بالشَّرط، ولا الفاءِ العاطفة، بل هو على غِرار قولِه تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ﴾ [البقرة: 89]، وقولِه تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ﴾ [يونس: 22]؛ فالجوابُ قولُه: ﴿جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ﴾.

وأمّا مَوضِع سورة فاطر: ﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ﴾ [فاطر: 9]، فكلامٌ معطوفٌ بعضُه على بعض بالفاء المقتضيةِ التَّرتيبَ والتَّعقيبَ؛ ليُطابِقَ اللَّفظُ ما تحتَه مِنَ المعنى، فلَزِمَتِ الفاءُ هنا؛ لاحتراز معناها.

الموضِعُ السّادسُ: الجرُّ بـ (اللّام) في قوله: ﴿لِبَلَدٍ﴾ وبـ ﴿إِلَىٰ﴾ في قوله: ﴿إِلَىٰ بَلَدٍ﴾.

في سورة الأعراف: ﴿سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ﴾، وفي سورة فاطر: ﴿فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ﴾ [فاطر: 9]؛ ليتناسبَ التَّعدّي باللّام فقط معَ وجازة التَّركيبِ بتجريده مِنَ الفاء في سورة الأعراف، ويتناسبَ التَّعدّي بـ ﴿إِلَىٰ﴾ في سورة فاطر مع زيادة الفاء في التَّركيب، فزيادةٌ بزيادة، وإيجازٌ بإيجاز.

(1) الغرناطيُّ، مَلاك التَّأويل: 1/186.
(2) الغرناطيّ، مَلاك التَّأويل: 1/187.

الموضِعُ السّابعُ: تخصيص ﴿فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ﴾ بالأعراف.

التَّخصيصُ مناسبٌ لقوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتۡ سَحَابٗا ثِقَالٗا﴾؛ فكَثْرةُ الماءِ في السَّحاب ناسبَهُ التَّعريفُ بكَثْرة ما يُخرج سبحانَه به مِن مختلِف الثَّمرات.

الموضِعُ الثّامنُ: تخصيص ﴿مَآءٗ طَهُورٗا ٤٨﴾ [الفرقان: 48]؛ لأنَّه قَصَد في آية سورة الفرقان سَقْيَ الأناسيِّ مِنَ العُقلاء، وسَقيَ الأنعام مِن غير العُقلاء، فناسبَ أن يَنُصَّ على طَهوريَّةِ الماءِ لذِكْرِ الأناسيِّ، وقد حصل إخراجُ الثَّمرات بقوله بعدَه: ﴿لِّنُحۡۦِيَ بِهِۦ بَلۡدَةٗ مَّيۡتٗا﴾.

الموضِعُ التّاسعُ: تخصيصُ ﴿فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ٤٨﴾ [الروم: 48].

قولُه في سورة الرّوم: ﴿فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ﴾ مُتسِقٌ مع قوله قبلَه: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرۡسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٖ﴾، فلمّا ذَكَرَ سبحانَه إرسالَها مُبشِّراتٍ، أَتْبَعَ ذلك ما به تَحْصُلُ البِشارةُ، وهو الوَدَقُ المُرْسَلُ مِنَ السَّحابِ المُشارِ إليه بقوله: ﴿بِهِۦ﴾، معَ الإخبار بالمُبَشَّر بها، وهو مَن يشاءُ تخصيصَه مِن عباده بتلك الرَّحمة، فبيَّن في آخِر هذه الآية ما كان مُجملًا في الآية قبلَها.

الموضِعُ العاشرُ: تخصيصُ ﴿فَأَحۡيَيۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ﴾ و﴿كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ٩﴾ [فاطر: 9].

تخصيصُ سورةِ فاطر بقوله: ﴿فَأَحۡيَيۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ﴾ [فاطر: 9] مبنيٌّ على قوله قبلَها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ﴾ [فاطر: 5]، والمرادُ بهذا: العودةُ الأُخْرَويَّةُ، فذكرَ اللهُ بعدَها مثالًا يوضِّحُها، فقال تعالى: ﴿فَسُقۡنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٖ مَّيِّتٖ فَأَحۡيَيۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ﴾ [فاطر: 9]، ثمَّ قال: ﴿كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ٩﴾ [فاطر: 9]، والمواضِعُ المتشابهة الأُخرى لم يتقدَّمْها مِثلُ ما تقدَّمَ هنا، مِن تحريكِ الخَلْقِ وتخويفِهم بالوَعْدِ الأُخْرَويِّ، فلم تُعَقَّبْ بمثل هذا الموضِعِ، مِن تحريرِ التَّشبيهِ وتجليَته، وإنْ كانَ في أكثرها التَّشبيهُ على إحياء الموتى، ولكنَّه ليسَ كالواقع هنا.

الموضِعُ الحادي عشَرَ: تخصيصُ ﴿كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ٩﴾ [فاطر: 9]، لمقابلته مع قوله: ﴿فَأَحۡيَيۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ﴾، ولو قيل: (كذلك الإحياءُ)، أو: (كذلك إحياء الموتى)، لاجتمعَ فيه الطّوْلُ مع مخالفةِ الفواصلِ فيما قبلَ الآيةِ وما بعدَها، كما في قوله تعالى

قبله: ﴿وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ۝٥﴾ [فاطر: 5]، وقوله بعدَه: ﴿وَمَكْرُ أُوْلَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ۝١٠﴾ [فاطر: 10]، ثمَّ إنَّ النُّشورَ جامعٌ بين إخراج الموتى وإحيائهم، وليس الإحياء فقط، فضلًا عن كَونِ التَّعبيرِ به أوجزَ وأطبقَ للفواصلِ، وأمّا سائرُ المواضِعِ فلم تُبنَ على قَصْد التَّشبيهِ، ولا جَرى فيها ذلك، فوقعَ الاكتفاءُ فيها بمجرَّد الإيماء والإحالة، على غير طريقة التَّشبيه.

الموضِعُ الثّاني عشَرَ: تخصيصُ ﴿كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ بالأعراف؛ ليكونَ مُقابَلًا بقوله: ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾، ولم يَرِدْ في سائر الآيات التَّعبيرُ بلفظِ الإخراجِ لما يُنْبِتُ المطرُ، وما يَخْلقُ سبحانَه في الأرض، فاستدعى كلُّ سياقٍ ما يُناسبه.

الموضِعُ الثّالث عشَرَ: تخصيصُ الختمِ بـ ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ في الأعراف؛ وذلك لكونه ذَكرَ ما يَسْتلزِمُ التَّذَكُّرَ وعدمَ الغفلةِ والنِّسيانَ، فقال: ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾، والنّازلُ مِنَ السَّماء ماءٌ واحدٌ، ومع ذلك تخرجُ بسببه أنواعٌ شتَّى مِنَ الثَّمرات، في لونها، ورائحتِها، وأصنافِها، فكذلكَ أنفُسُ الموتَى المُتكاثِرَةُ والمُتباينَةُ، تتعلَّقُ بها قُدْرَةٌ واحدةٌ مِنَ الرَّبِّ الواحدِ، فتَعودُ حَيَواتُها إليها على كَثْرتها واختلافها، وهذا موجِبٌ قويٌّ يستَحِثُّ على التَّذَكُّر واليَقظَة.

❁ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

أغـلَـبُ لـفـظِ (الـرِّيـح) مُقترِنٌ بـالـعـذاب، وقد يَقْتَرِنُ بالرَّحمة، ولفظُ (الرِّياح) لا يأتي في العذاب أبدًا

(الرِّياح)، (الرِّيح):

الرّيح: يدلُّ على الإفراد، وفرديَّة الرّيح تدلُّ على شراستِها؛ لنُشوئها مِن جهةٍ واحدةٍ، واتِّحادِ نوعِها.

والرِّياحُ: جمعٌ يدلُّ على التَّعدُّد والتَّباين النَّوعيِّ بينَها، فبعضُها يُخفِّفُ بعضًا، ويكون بعضُها لَواقحَ لبعضٍ، فتُثْمِرُ بعوائدِ الخيرِ.

"وعامَّة المواضِعِ التي ذَكَرَ اللَّهُ تعالى فيها إرسالَ الرّيحِ بلفظِ الواحد فعبارةٌ عنِ العذاب، وكلُّ موضعٍ ذُكِرَ فيه بلفظِ الجمعِ فعبارةٌ عنِ الرَّحمة"(1)، ولِيُنْتَبَه إلى لفظ: "وعامَّة المواضِع" السّابق؛ فإنَّه لا يُفيدُ الحصرَ، بل الأغلبيَّةَ، فأغلبُ لفظِ الرّيحِ استُعملَ في العذاب، معَ مجيئه أحيانًا في الرَّحمة أيضًا، ولِيُنْتَبَه كذلك إلى لفظ: "وكلُّ موضِع..." السّابق؛ فإنَّه يُفيدُ الحصرَ والاستغراقَ، ولذا لم يأتِ لفظُ الرّياحِ بالجمعِ في العذابِ أبدًا.

فمِن مجيءِ الرّيحِ في العذابِ - وهو الغالبُ - قولُه تعالى: ﴿رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ﴾ [آل عمران: 117]، ﴿ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ﴾ [إبراهيم: 18]، ﴿رِيحًا صَرْصَرًا﴾ [القمر: 19]، ومِن مجيءِ الرّيحِ في الرَّحمة - وهو قليلٌ - إفرادُ الرّيح هاهنا: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَحَ﴾ [الأعراف: 57] في قراءة ابنِ كثير وحمزةَ والكسائيِّ وخَلَفٍ، والباقون بالجمع.

(أَقَلَّتْ)، (حَمَلَتْ):

أقلَّتْ: دالٌّ على قِلَّةِ المحمول، وحمَلَتْ: عامٌّ في الدَّلالة على رَفْعِ الشَّيءِ بتكلُّفٍ أو إقلال

﴿حَمَلَتْ﴾ أعمُّ مِن ﴿أَقَلَّتْ﴾، و﴿أَقَلَّتْ﴾ أي: حملتْها حِمْلَ القليلِ، وهو دالٌّ على قِلَّةِ المحمول بالنِّسبة لإطاقةِ الحامل، وأمّا الحَمْلُ: فليس فيه معنى أنَّ المحمولَ قليلٌ بالنِّسبة لحامله، بل هو عامٌّ في الدَّلالة على رَفْعِ الشَّيء بتكلُّفٍ أو إقلال، بدليل قوله تعالى: ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ﴾ [العنكبوت: 13]، فالحَمْلُ هاهنا فوقَ الإطاقةِ، وبتكلُّفٍ، وعُسْرٍ، وقولِه تعالى: ﴿حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ﴾ [الأعراف: 189]، فالحَمْلُ هاهنا بإقلالٍ ويُسْرٍ.

وأمّا قولُه تعالى: ﴿أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا﴾ فنَصٌّ في أنَّ المحمولَ قليلٌ، من جهتين: مِن جهةِ الاشتقاقِ، فبناءُ اللَّفظ مِنَ القِلَّة، ومِن جهةِ السّياق، فالسَّحابُ موصوفٌ بالثِّقال؛ ليندفعَ به إيهامُ مَن يَظُنُّ

(1) الرّاغب، المفردات: (روح).

أنَّ القِلَّةَ حاصلةٌ بسبب خِفَّةِ السَّحاب، بل هي حاصلةٌ بسبب قوَّةِ الرِّياحِ، وتمكُّنِها منه تمكُّنَ الأكثرِ مِنَ الأقل[1].

(أخرجنا)، (أنبتنا):

أصلُ الخروجِ: النَّفاذُ عنِ الشَّيء[2]، وهو البُروزُ مِنَ المَقرِّ، سواءٌ أكانَ دارًا، أم بلدًا، أم ثوبًا، وسواءٌ كان بنفسه، أو بأسبابه الخارجة عنه[3]، وهو خلافُ التَّكوينِ والإنشاءِ، بدليلِ قوله: ﴿وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ﴾ [النّحل: 78]، فخُروجُه لاحقٌ لتمامِ تكوينِه، ولذا عَبَّر هنا بالإخراج دونَ الإنباتِ: ﴿فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ﴾؛ لإرداةِ منتهى التَّكوين، وهو خروجُ الثَّمرات وإدراكُها ناضجةً تامَّةً، وليوافقَ قولَه بعدَه: ﴿كَذَٰلِكَ نُخۡرِجُ ٱلۡمَوۡتَىٰ﴾، فيتطابقَ اللَّفظانِ بينَ المقيس عليه والمقيس في الدَّلالة على الغرض.

الإنبـاتُ تكويـنٌ وتهيُّؤٌ للخروج، والـخُـروجُ هو تمامُ الإنباتِ

وأمّا الإنباتُ: فهو الإنشاءُ والتَّكوينُ قبلَ أن يَخرجَ، وهو أوَّلُ الخُروجِ إلى أن يَتمَّ، واستعمالُ الإنباتِ في الإنشاءِ والتَّكوينِ كما في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا ١٧﴾ [نوح: 17]؛ "أي: أنشأكم منها، فاستُعير الإنباتُ للإنشاء؛ لكونه أدلَّ على الحدوث والتَّكوُّن"[4]؛ "للمشابهة بينَ إنشاءِ الإنسانِ وإنباتِ النَّباتِ، من حيثُ إنَّ كليهما تكوينٌ"[5]، وعليه: فالإنباتُ: تكوينٌ وتهيُّؤٌ للخروج، والخروجُ: هو تمامُ الإنباتِ.

(نُخرِج)، (نُحيي):

إحياءُ الموتى: إعادةُ الحياةِ إليهم روحًا وجسدًا.

إخراجُ الموتى: إنفاذُ النّاسِ مِن قبورهم، وبُروزُهم عنها.

الإخـراجُ مُتأخِّرٌ، والإحـيـاءُ مُتقدِّمٌ، والمتأخِّرُ يدلُّ على حصولِ المتقدِّمِ، وليس العكس

(1) ابن الجوزيّ، نزهة الأعين، ص: 226، وجبل، المعجم الاشتقاقيُّ المؤصَّل: (قلل - قلقل).
(2) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (خرج).
(3) السّمين الحلبيّ، عمدة الحفّاظ: 1/495.
(4) الآلوسّي، روح المعاني: 15/84.
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 29/204.

فالإخراجُ متأخِّرٌ، والإحياءُ مُتقدِّمٌ، قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا﴾ [المعارج: 43]، وقال: ﴿ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾﴾ [ق: 42]؛ "أي: خروجُ النّاسِ مِنَ الأرضِ، فالخروجُ صارَ كالعَلَم بالغَلَبة على البعثِ"(1)؛ أي: نُحْيي النّاس ثمَّ نُخْرِجُهم؛ لأنَّ الخروجَ حركةٌ، والحركةُ لا تكونُ مِن غيرِ حياةٍ، فإخراجُهم يقتضي إحياءَهم، لكنَّ الإحياءَ لا يَلْزمُ عنه الإخراجُ. وقال هاهنا: ﴿كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ تطابقًا في اللَّفظ والغرضِ مع: ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾، فقد أراد مُنتهَى التَّكوين؛ وهو خروجُ الثَّمراتِ مِن أكمامها، وأرادَ هنا مُنتهى إعادةِ الموتى؛ وهو خروجُهم مِن قبورهم(2).

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 26/294.
(2) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (خرج).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثالث عشر، سورة الأعراف من الآية 14 إلى الآية 87
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة الأعراف من الآية 14 إلى الآية 87 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 13 ، 804 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-09-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 13 : سورة الأعراف من الآية 14 إلى الآية 87.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-768-09-8
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-6551762 بتاريخ 2023/12/20م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»